التربية الإجتماعية فى القرآن الكريم

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة ورئيس مجلس إدارة مسجد الإمام الحسين

— ٤ —

معاملة ذوى الأرحام والجيران :

ما أبدع ما يقول الله تعالى :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا » .

والإحسان يكون بالقول والفعل والإنفاق عليهم عند الاقتضاء ، وكفاها عظة أن يجىء الأمر بالإحسان إلى هؤلاء بعد الأمر بعبادة الله وتوحيده .

ولا يخفى أن إعانة المحتاج صدقة فإذا كان من ذوى الأرحام فإنها تكون لصاحبها صدقة وصلة رحم ، وإذا كان ذو الرحم يتيما وجاهدت نفسك فأحسنت إليه أعانك إحسانك إليه على أن تكون من أصحاب اليمين بدليل قوله تعالى :

« فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو إطعام فى يوم ذى مسبغة ، يتيما ذا مقربة ، أو مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة » .

وقد قال مولانا الحسن السبط رضى الله عنه « عقبة والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه هواه وعدوه الشيطان » .

ومن طريف ما قرأته أن بعض الصالحين كان إذا جاءه محتاج بهش فى وجهه ويقول له مرحبا بمن جاء يحمل زادى إلى الآخرة بغير أجرة .

وإذا أساء إليك بعض ذوى الأرحام فضنت نفسك عليه بتأثير من هذه الإساءة فارجع إلى قوله تعالى :

« ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » .

وهذه الآية الكريمة نزلت في شأن مولانا أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ألا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه في أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجراً ، ولما قرأها حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم على سيدنا أبي بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لي ورد إلى مسطح نفقته .

وقد روى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم حديثا جامعا في معاملة الجار ـ قلنا يارسول الله ما حق الجار قال إن استقرضك أقرضته وإن استعانك أعنته وإن احتاج أعطيته ، وإن مرض عدته ، وإن مات تبعت جنازته ، وإن أصابه خير سرك وهنيته ، وإن أصابه مصيبة ساءتك وعزيته ولا تؤذه بقتار قدرك إلا ان تغرف له منها ـ ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه ـ وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها وإلا فأدخلها سرا ولا يخرج ولدك بشيء منها يغيظون به ولده ـ وهل تفقهون ما أقول لكم ان يؤدي حق الجار إلا القليل ممن رحم الله أو كلمة نحوها .

وروى البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يارسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي . قال إلى أقربهما منك بابا .

وقال حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند تفريق لحم الأضحية : إبدئي بجارنا اليهودي .

وقد روى أن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين ، فدخل رسول الله صلى عليه وسلم غيضة فقطع قضيبين احدهما معوج فخرج وأعطى لصاحبه القويم ، فقال كنت يارسول الله أحق بهذا فقال كلا يا فلان إن كل صاحب يصحب آخر فإنه مسؤول عن صحابته ولو ساعة من نهار .

حرمة المسلم :

كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، هكذا علمنا حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع .

والناظر في كتاب الله الكريم يراه قد نهى عن القتل :

(ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما) .

كما نهى عن أكل المال بالباطل :

(ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون) .

وقد قال حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإن ما أقضى له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقى لصاحبي .

وخص مال اليتيم بقوله :

(إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا) .

وقد روى أنه يبعث آكل مال اليتامى يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه فيعرف الناس أنه يأكل مال اليتيم فى الدنيا .

أما العرض فقد صانه الله بسياج قوى من قوله تعالى :

(إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة . ولهم عذاب عظيم) .

آداب عامة :

جاء القرآن بآداب عامة غاية فى الروعة ولو راعاها الناس وعملوا بها لأراحوا واستراحوا وأخص من تلك الآداب مايأتى :

حرمة البيوت :

استمعوا إلى الآية الكريمة :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم) .

قارنوا بين هذه الآداب التى رسمتها تلك الآية وبين ما يقع لكم من مضايقات بسبب الخروج عليها .

السخرية

نهى الله تعالى عن السخرية أبلغ نهى ، فقال جل جلاله :

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) .

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول (البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن احول كلبا) فأين هذا مما نحن عليه الآن ؟

التجسس والغيبة وسوء الظن :

كذلك جاء النهى عن التجسس والغيبة وسوء الظن فى قوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) .

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

يقرر الله تعالى :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

ويقول .

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

وهذه الأمة بحمد الله وفضله مستجيبة للامرين بالمعروف والناهين عن المنكر فليكن ذلك مشجعا لأهل الفضل فى نشر الدعوة إلى الخير بينهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا بالقلم واللسان والأسوة الحسنة من مسلكهم الذى يمشون به فى الناس .

لين الجانب

ولين الجانب من خير ما يوهب المرء فى أخلاقه لأنه يؤلف الناس بعضهم ببعض ألا ترى كيف امتدح الله حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فى هذه السجية فقال تعالى :

(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) .

رفع التكلف مع الأهل والأصدقاء :

وانظر كيف يعلمنا الله الاختلاط السمح مع الأهل والأصدقاء دون حرج أو تكلف فيقول جل شأنه :

(ليس على الأعمى حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) .

المروءة مع الضعاف :

ومن مروءة أهل الإيمان ان يعين قويهم ضعيفهم لا يبتغى بذلك إلا مرضاة الله ، ألست ترى إلى مروءة سيدنا موسى عليه السلام وهو يعين بنتى نبى الله شعيب عليه وعلى سائر أنبياء الله أفضل الصلاة وأتم السلام فيما حكاه الله تعالى :

(ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم أمرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما انزلت إلى من خير فقير) .

حسن المسلك واعتداله :

واغنم يا أخى حسن المسلك واعمل بما انزله إليك ربك من الحكم المحكمة النافعة لك فى دينك ودنياك واستمع إليه تعالى إذ يقول ناصحا لك :

(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا . ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ، ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا ، واوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ، ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) .

الروية وأخذ الأمور بالحذر :

وما أحسن ما يعظنا الله به فى قوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .

اتهام الأبرياء :

ويحذرنا الله من الخسة فى اتهام الأبرياء فى قوله تعالى :

(ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) .

عباد الرحمن :

ولست أدعى اتى المحت بكل النواحى الاجتماعية فى القرآن على كثرة ما سمعتم منى ولكنى أستطيع ان اقول فى ثبات واطمئنان اننا لو طبقناها لخشعت قلوبنا ولجوارحنا لله ولكنا من عباده الصالحين الذين نسبهم اليه تعالى تشريفا لأقدارهم وقال فى وصفهم

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ،

والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم أن عذابها كان غراما . انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابا . والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما ، خالدين فيها حسنت مستقرا و مقاماً) .